

والبر من التبن وتخصيص ما في القلوب لانه الاصل لاعمال الجوارح ولذا كانت الاعمال بالنيات وكان أول الفكر آخر العمل لجميع ما عمل تابع له فيسدل على الجميع صريحاً وكنياً وقرأ ابن يعمر ونصر بن عاصم ومحمد بن أبي معمر وحصل مبنيًا للفاعل وهو ضميره عز وجل وقرأ ابن يعمر ونصر ايضاً حصل مبنيًا للفاعل خفيف الصاد فما عليه هو الفاعل ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ﴾ أي المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير المقلاه بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين ﴿بِهِمْ﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم اذ يكون ما عد من بئس ما في القبور وتحصيل ما في الصدور والظرفان متعلقان بقوله تعالى ﴿آخِزِيهِمْ﴾ أي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجياً للجزاء متصلاً به كإنيء عنه تقيده بذلك اليوم والا فطلق علمه عز وجل بما كان وما سيكون. وقرأ أبو السمال والحجاج ان ربهم بهم يومئذ خير بفتح همزة أن واسقاط لام التاكيد فان وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يعلم على ما استظهره بعضهم وأيد به كون يعلم معلقة عن العمل في إن ربهم الخ على قراءة الجمهور لمكان اللام واذا على هذا لا يجوز تعلقها بخبير ايضاً لكونه في صلة ان المصدرية فلا يتقدم معموله عليها ويعلم أمره مما تقدم وقيل الكلام على تقدير لام التعليل وهي متعلقة بحصل كأنه قيل وحصل ما في الصدور لان ربهم بهم يومئذ خير والاول أظهر والله تعالى أعلم وأخبر

سورة القارعة

مكية بلا خلاف وآياتها إحدى عشرة آية في الكوفي وعشرة في الحجازي وثمان في البصري والشامي ومناسبتها لما قبلها أظهر من أن تذكر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الْقَارِعَةُ • مَا الْقَارِعَةُ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ •﴾
الجمهور على أنها القيامة نفسها ومبدؤها النفخة الاولى ومنهاها فصل القضاء بين الخلائق وقيل صوت النفخة وقال الضحاك هي النار ذات التغيظ والزفير وليس بشيء وأياما كان فهمي من القرع وهو الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد وقد تقدم الكلام فيها وكذا ما يعلم منه أعراب ما ذكر في الكلام على قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة وقرأ عيسى القارعة بالنصب وخرج على أنه باضمار فمل أي اذكر القارعة وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكْفُرُ النَّاسُ كَأَنفِرَ إِشْمَبُوثٍ﴾ قيل ايضاً منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد نفخيم أمر القارعة وتشويقهم عليه الصلاة والسلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ماهي وقال الزمخشري ظرف لمضمر دات عليه القارعة أي تفرع يوم وقال الحوفي ظرف تاتي مقدرًا وبعضهم قدر هذا الفعل مقدماً على القارعة وجعلها فاعلاً له ايضاً وقال ابن عطية ظرف للقارعة نفسها من غير تقدير ولم يبين أي القوارع أراد وتعقبه أبو حيان بانه ان اراد اللفظ الاول ورد عليه الفصل بين العامل وهو في صلة أل والمعمول بالجبر وهو لا يجوز وان اراد الثاني أو الثالث فلا يلتزم معنى الظرف معه وأيد بقراءة زيد بن علي يوم بالرفع على ذلك وقدر بعضهم المبتدأ وقتها وانفراش قال في الصحاح جمع فراشة التي تطير وتهافت في النار وهو المروى عن قتادة وقيل هو طير رقيق يقصد النار ولا يزال يتنعم على المصباح ونحوه حتى يحترق وقال الفراء هو غوغاه الجراد الذي ينتشر في الارض ويركب بعضه بعضاً من الهول وقال صاحب التأويلات اختلفوا في تأويله على وجوه لكن كلها ترجع

الى معنى واحد وهو الاشارة الى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم واختار غير واحد ماروى عن قتادة وقالوا شبهوا في الكثرة والانتشار والضمف والثقل والمجرى والذهاب على غير نظام والتطاير الى لداعى من كل جهة حين يدعوهم الى المحشر بالفراش المتفرق المتطاير قال جرير

ان الفردق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطفى

(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) أى الصوف مطلقاً أو المصبوغ كما قيده الراغب به وقد تقدم السلام فيه في المسارج وكان بمعنى صار أى ونصير جميع الجبال كالعهن (الْمَنْفُوشِ) المفرق بالاصبع ونحوها في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما ينطق به غير آية وقوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ تَوَلَّى مَوَازِينَهُ) الى آخره بيان اجمالى لتحزب الناس حزبين وتنبه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما أو بيان الاحوال الشاملة لكل وهذا اشارة الى وزن الاعمال وهو مما يجب الايمان به حقيقة ولا يكفر منكروه ويكون بعد تطاير الصحف وأخذها بالايمان والشئانل وبعد السؤال والحساب كما ذكره الواحدى وغيره وجزمه به صاحب كنز الاسرار بيزان له لسان وكفتان كاطباق السموات والارض والله تعالى أعلم بماهية وقد روى القول به عن ابن عباس والحسن البصرى وعزاه في شرح المقاصد لكثير من المفسرين ومكانه بين الجنة والنار كما في نوادر الاصول وذكر يتقبل به العرش يأخذ جرير عليه السلام بمودته ناظر الى لسانه وميكائيل عليه السلام أمين عليه والاشهر الاصح انه ميزان واحد كما ذكرنا لجميع الامم ولجميع الاعمال فقوله تعالى موازينه وهو جمع ميزان وأصله موزان بالواو لكن قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها قيل للتعظيم كالجمع في قوله تعالى كذبت عاد المرسلين في وجهه أو باعتبار اجزائه نحو شابت مفارقه أو باعتبار تعدد الافراد لاتفاير الاعتبارى كما قيل في قوله

* لمعان برق أو شعاع شمس * وزعم الرازى على ما نقل عنه أن فيه حديثاً مرفوعاً وقال آخرون يوزن نفس الاعمال فتصور الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المدة للحسنات فتنتقل بفضل الله تعالى وتصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال فتتخف بمسند الله تعالى وامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات ممنوع أو مقيد ببقاء آثار الحقيقة الاولى وقد ذهب بعضهم الى أن الله تعالى يخلق أجساماً على عدد تلك الاعمال من غير قلبها وادعى ان فيه أثراً والظاهر ان النقل والحفة مثلها في الدنيا فاقبلت الى أسفل ثم يرتفع الى عليين وماخفطاش الى أعلى ثم تزل الى سجين وبصرح القرطبي وقال بعض المتأخرين هاء على خلاف ما في الدنيا وان عمل المؤمن اذا رجح صعودت سيئاته وان الكافر تنقل كفته نحو الاخرى من الحسنات ثم تلا والعمل الصالح يرفعه وفي كونه دليلاً نظراً وذكر بعضهم أن صفة الوزن أن يجعل جميع أعمال العباد في الميزان مرة واحدة الحسنات في كفة النور عن يمين العرش جهة الجنة والسيئات في كفة الظلمة جهة النار ويخلق الله تعالى لكل انسان علماً ضرورياً يدرك به خفة أعماله وثقلها وقيل نحوه الا ان علامة الرجحان عمود من نور يثور من كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة الحفة عمود ظلمة يثور من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات فالكيفيات أربع وستظهر حقيقة الحال بالبيان وهو قال القرطبي لا يكون في حق كل أحد لما في الحديث الصحيح ويقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن الحديث وأخرى الانبياء عليهم السلام وقوله سبحانه يعرف الجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام وإنما يبقى الوزن لمن شاء الله تعالى من الفريقين وذكر القاضى منذر بن سعيد البلوطى أن أهل الصبر لا توزن أعمالهم وإنما يصب لهم

الاجر صبا والظاهر أنه يدرج المنافق في الكافر والحق أن أعمالهم مطالبنا توزن لظواهر الآيات والاحاديث الكثيرة والمراد في الآية وزنا نافعا والصحيح ان الجن مؤمنهم وكافرهم كالانس في هذا الشأن كما قرر في محله والتقسيم فيما نحن فيه على ما سمعت عن القرطبي بالنسبة الى من توزن أعماله لابلنسبة الى الناس مطلقا وأنكر المعتزلة الوزن حقيقة وجماعة من أهل السنة والجماعة منهم مجاهد والضحاك والاعمش قالوا ان الاعمال أعراض أن أمكن بقاؤها لا يمكن وزنها فالوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وجوزوا فيما هنا أن تكون الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وأن معنى نقلها رجحانها وروى هذا عن الفراء أي فن ترجحت مقادير حسناته ورثتها **(فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)** المشهور جعل ذلك من باب النسب أي ذات رضا وجوز ان تكون راضية بمعنى المفعول أي مرضية على التجوز في الكلمة نفسها وأن يكون الاسناد مجازيا وهو حقيقة الى صاحب العيشة وجوز ان يكون في الكلام استعارة مكنية وتخيلية على ما قرر في كتب المصنفين لكن ذكر بعض الاجلة ههنا كلاما نفيسا وهو أن ما كان للنسب يؤول بذى كذا فلا يؤوث لانه لم يجز على موصوف فالحق بالجوامد ونقل عن السيرافي انه قال يقدح فيها عللوا به سقوط الهاء في عيشة راضية وفيه وجهان أحدهما أن تكون بمعنى انها راضية أهاها فهي ملازمة لهم راضية بهم والآخر أن تكون الهاء للمبالغة ككلامه ورواية ووجه بان الهاء لزمث لثلاثا تسقط الياء فيدخل بالبنية كساقفة مشلية وكلمة مجربة وهم يقولون نظية مطفل ومشدان وباب مفعول ومفعول لا يؤوث وقد ادخلوا الهاء في بعضه كصكك انتهى ثم قال ان هذا حقيق بالقبول ومحصله الجواب بوجود أحدها ان راضية هنا فيه ليس من باب النسب بل هو اسم فاعل أريد به لازم معناه لان من شاء شيئا ورضى به لازمه فهو مجاز مرسل أو استعارة ويجوز ان يراد أنه مجاز في الاسناد وما ذكر بيان لمعناه الثاني ان الهاء للمبالغة ولا تختص بفعل ولذا مثل رواية أيضاً والثالث أنه يجوز الحاق الهاء في المعتل لحفظ البنية ومصكك اما اذا والتشبيه المضاعف بالمعتل انتهى فاحفظه فانه نفيس خلاصته أكثر الكتب **(وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)** بان لم يكن له حسنة يمتد بها او نقلت سيئاته على حسناته **(فَأَمُّهُ)** أي فاداه كما قال ابن زيد وغيره **(هَائِيَةٌ)** أريد بها النار كما يؤذن به قوله تعالى **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيْه نَارٌ حَامِيَةٌ)** فانه تقرير لها بعد ايهامها والاشارة بخروجها عن المهود للتفخيم والتحويل وذكر أن اطلاق ذلك عليها لغاية عمقها وبعد مهواها فقد روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفاً وخصها بعضهم بالباب الاسفل من النار وعبر عن المأوى بالام على التشبيه بها فالام مفزع الولد ومأواه وفيه تمسك به وقيل شبه النار بالام في انها تحيط به احاطة رحم الولد بالام. وعن قتادة وأبي صالح وعكرمة والكلبي وغيرهم المعنى قام رأسه هاوية في قمر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وفي رواية أخرى عن قتادة هو من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لانه اذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه نكلا وحزنا ومن ذلك قول كعب بن سعد الغنوي

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤب

وفي الكشف ان هذا أحسن لي مطابق قوله سبحانه في عيشة راضية وما فيه من المبالغة وقال الطيبي أنه الاظهر وللبحث فيه مجال والضمير أعنى هي عليه للدهية التي دل عليها الكلام وعلى ما قدمنا لهاوية وعلى الوجه الثاني لما يشعر به الكلام كأنه قيل فأم رأسه هاوية في نار وما أدراك ما هي الح والهاء الملحقة في هيهاء السكت وحذفها في الوصل ابن أبي اسحق والاعمش وحزرة وأثبتها الجمهور ورفع نار على انها خبر

مبتدا محذوف أى هى نار وحامية نعت لها وهو من الحمى اشتداد الحر قال في القاموس حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وجعله بعضهم على ما قيل من حميت القدر فهى محمية ففسره بذات حمى وهو كما ترى وقرأ طلحة فامه بكسر الهمزة قال ابن خالويه وحمى ابن دريد أنها لغة وأما النحويون فيقولون لا يجوز كسر الهمزة الا ان يتقدمها كسرة أو ياء والله تعالى أعلم

سورة التكاثر

وكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أخرج ابن أبي حاتم عن سعد بن أبي هلال يسمونها المقبرة وهي مكة قال أبو حيان عند جميع المفسرين وقال الجلال السيوطى على الأشهر وبدل لكونها مدينة وهو المختار ما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بريدة فيها قال تزلت في قبيلتين من قبائل الانصار في بنى حارثة وبنى الحرث تفاعروا وتكاثروا فقاتت احداها فيكم مثل فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاعروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا الى القبور فجمات احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان تشير الى القبر ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فانزل الله تعالى أهاكم التكاثر الخ وأخرج البخارى وابن جرير عن أبى ابن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ثم يتوب الله على من تاب حتى تزلت أهاكم التكاثر الخ وأخرج الترمذى وابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن على كرم الله تعالى وجهه ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى تزلت أهاكم التكاثر وعذاب القبر لم يذكر الا في المدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية انتهى ولقوة الادلة على مدنيها قال بعض الاجلة انه الحق وآياها ثمان بالانفاق وهي تعدل ألف آية من القرآن أخرج الحاكم وبيهقي في الشعب عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ أهاكم التكاثر وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق والديلمى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ في ليلة ألف آية لقي الله تعالى وهو ضاحك في وجهه فقيل يا رسول الله من يقوى على ألف آية فقرأ سورة أهاكم التكاثر الى آخرها ثم قال عليه الصلاة والسلام والذي نفسى بيده انها تعدل ألف آية وذكر ناصر الدين بن الملبق في سر ذلك أن القرآن ستة آلاف ومائتا آية وكسر فاذا تركنا الكسر كان الالف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس من مقاصد القرآن فانها على ما ذكره الغزالي ستة ثلاثة مائة وهي تعريف المدعو اليه وتعريف الصراط المستقيم وتعريف الحال عند الرجوع اليه عز وجل وثلاثة مائة وهي تعريف أحوال المنطيين وحكاية أقوال الجاحدين وتعريف منازل الطريق وأحدها معرفة الآخرة المشار اليه بتعريف الحال عند الرجوع اليه تعالى المشتمل عليه السورة والتعبير على هذا المعنى بألف آية أخصم وأجل من التعبير بالسدس انتهى. والامر والله تعالى أعلم وراه ذلك ومناسبتها لما قبلها ظاهرة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلْهِكُمْ) أى شغلهم وأصل اللهو الغفلة ثم شاع في كل شاعل وخصه العرف بالشاعل الذى يسر المرء وهو قرييب من اللعب ولذا ورد بمناه كثيرا وقال الراغب اللهو ما يشغلك عما يعنى ويهم وقيل وليس بذلك المراد به هنا الغفلة والمعنى جعلكم لاهين غافلين (التَّكَاثُرُ) أى التبارى في الكثرة والتباهى بها بأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) حتى اذا استوعبتم عدد الاحياء